في الصلاة يريد تفرغ قلبه لها في نفسه والفائدة فيه انتفاع الانسان
بالذكر انما يكمل اذا وقع الذكر بهذه الصفة لان ذكر النفس اقرب الى
الاخلاص والبعد عن الرياء وقيل المراد بالذكر في النفس ان يستحضر
في قلبه عظمة المذكور جل جلاله واذا كان الذكر باللسان عاريا
عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لان الفائدة الذكر حضور القلب
واستشعاره عظمة المذكور تضرعا وقال الضرع الرجل يضرع ضراعة
اذا خضع وذل واستكان لغيره وخيفة ودون الجهر يعني وخوفا
والمعنى يتضرع اليه ويخاف من غيره وقال مجاهد وابن جريج امر ان يذكروه
في الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت في الدعاء وهذا
لطيفة وهي ان قوله واذكر ربك في نفسك فيه اشعار بقرب العبد
الله عز وجل وهو مقام الرجا لان لفظ الرب مشعر بالتربية والرحمة
والفضل والاحسان فاذا تذكر العبد انعام الله عليه واحسانه اليه
فعند ذلك يقوى مقام الرجاء فاتبعه بقوله تضرعا وخفية وهذا
مقام الخوف فاذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجاء قوي
ايمانه والمسبب اما يكون الخوف اغلب على العبد في حال الصحة فاذا
قارب الموت العسكر خان انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
الآية لما امر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في الآية
المتقدمة قال بعدها ان كنتم مؤمنين لان الايمان يستلزم الطاعة
وبين في هذه الآية صفات المؤمنين واحوالهم فقال تعالى انما
المؤمنون

المؤمنون الصادقون في ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
اي خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل لما خوفوا بالله
انقادوا خوفا من عقابه وقال اهل الحقايق الخوف على
قسمين خوف العقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة
والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله عز وجل
فيخافونه اشد الخوف واما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن
اذا ذكر الله عز وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته في ذكر الله
عز وجل فان قلت انه تعالى قال في هذه الآية وجلت قلوبهم
بمعنى خافت وفي رواية اخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف
الجمع بينهما قلت لا منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجل هو الخوف
لاعقاب والاطمينان انما يكون من نايج اليقين وشرح الصدر
بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جمعهما في آية
واحدة وهي قوله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر رحمته ورجائه وهذا
حاصل في قلب المؤمن واذا تليت عليهم ايانه زادتهم ايمانا يعني اذا
قرات عليهم ايات القران زادتهم تصديقا قال ابن عباس والمعنى
انه لما جاء هم شيء من عند الله امنوا به فيزدادون بذلك ايمانا
وتصديقا لان زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين
الوجه الاول وهو الذي عليه عامة اهل العلم على ما حكاه الواحدي

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)